

## مختصر باب المناظرة والمراسلة

### ﴿ تاريخ المصاحف ﴾

بقلم الدكتور محمد توفيق افندي صدقي الطيب بسجن طره  
 لما لهذا الموضوع من العلاقة الكبرى بجميع مباحثي في الاسلام التي سبق  
 نشرها في المنار الامر رأيت أن افيض القول فيه بما يزيل ماران على قلوب كثير  
 من الناس من الشبهات والاشكالات التي يقذف بها المسلمون دعاة من المسيحيين  
 لا يميزون بين الفث والسمين . ولا يوضح المسألة ايضاحا تاما رأيت أن أضف مقدمة  
 هامة ، تمهيدا للبحث ، ودعامة للمحصر ، فنقول : - غير خاف على أحد أن  
 الأمة العربية قبل الاسلام كانت أمة أمية يقل فيها وجود من يعرف القراءة  
 والكتابة . معرفة جيدة ، وكان جل اعتمادهم في جمع ما يروونه من أنسابهم وأشعارهم  
 وغيرها على حفظهم لها في صدورهم . ولم يعرف أنه كان عندهم كتاب ما من الكتب  
 في أي موضوع كان ، وغاية ما كانوا يفهمونه من لفظ ( كتاب ) أنه أي صحيفة  
 مكتوب عليها من نحو الجلود أو العظام أو الحجارة أو الجريد ، بل إن الصالح  
 للكتابة من كل من هذه الاشياء كان لديهم قليلا ولذلك لم يستغنوا بنوع واحد  
 منها عن باقيها ، ولم يكن عندهم الورق الذي نعرفه الآن ، وهذا اللفظ ما كان  
 يطلق عندهم إلا على ورق الشجر وعلى رقاع من الجلود رقيقة ، والاطلاق الاخير  
 مستعار من الاول .

ولانجد في اللفظة العربية اسما خاصا بما يشبه ورقنا المعروف سوى لفظ واحد  
 وهو ( الكاغد ) وهو فارسي معرب وقد ادخلته العرب في لغتها بعد النبي صلى  
 الله عليه وسلم فلذا لم يرد في كلامهم قبله عليه السلام ولا في عصره ولم يرد في  
 أحاديثه ولم نسمع أنه كان مما يكتب عليه القرآن في حياته عليه السلام . وانقلب  
 أن هذا اللفظ دخل في اللفظة العربية بعد فتح المسلمين لبلاد فارس . وأما لفظ  
 القرطاس فهو أقدم في اللفظة وورد في القرآن الشريف وكان معناه عندهم الصحيفة  
 من الاشياء التي كانوا يستعملونها للكتابة ثم اطلقوه فيما بعد على الكاغد أيضا

حينما عرفوه وصاروا يسمون به كل ما يكتبون عليه من الصحف . هذا وإن ما ورد في كلامهم من لفظ ( كتاب ) كانوا يريدون به ما يطلق عليه في عرفنا اليوم لفظ ( خطاب ) أو جواب ومنه قوله تعالى في قصة سليمان ( ٢٧ : ٢٨ ) إذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ) ومنه كتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام ومثل الكتاب السفر والزبور والسجل والدفتر فإن معانيها كلها متقاربة وما كانوا يفهمونها كما تفهمها الآن . ولذلك لما جمع القرآن بعلم النبي اختلفت الصحابة في ماذا يسمونه به وتوقفوا لأنهم لم يهدوا مثله من قبل ثم احتقر رأيهم أخيراً على تسميته بالصحف تبعاً لأهل الحديث في تسمية مجموعاتهم بذلك والمصحف الكتاب بالذي الذي نهمه نحن الآن عند الإطلاق لأنه مأخوذ من أصحف أي جمع الصحف . وكل صحيفة كتاب عند العرب كما ذكرنا وكانت أيضاً كتب بعض الأمم غير العربية عبارة عن قطع من الجلود أو القماش يختلف عرض الواحدة منها من ١٢ إلى ١٤ قيراطاً وكانوا يلفونها على قضيب من الخشب ملصقاً بأحد أطرافها كما تلف الخرائط الجغرافية الآن . وهذا هو الطي المذكور في قوله تعالى ( ٢١ : ١٠٤ ) يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب ) . ولا تزال التوراة مطوية كذلك عند السامريين إلى اليوم هذا الذي تقدم ليس خاصاً بمشركي العرب بل يشمل أيضاً أهل الكتاب منهم . ولذلك لا نسلم بوجود نسخة كاملة من التوراة أو الإنجيل بينهم كالتسخ الموجودة الآن . ولم يكن عندهم سوى أجزاء قليلة منهما مكتوبة على قطع متفرقة من الجلود أو العظام أو الخشب أو نحوه . فلذا وصفهم القرآن الشريف بقوله ( ٣ : ٢٣ ) ألم تر إلى الذين أتوا نصيباً من الكتاب ( وخاطبهم بقوله ( ٥ : ١٥ ) يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا بين يديكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ) وقال فيهم ( ٥ : ١٣ ) ونسوا حظاً مما ذكروا به ) وقال لهم ( ٦ : ٩١ ) قل من أنزل الكتاب ( ١ ) الذي

( ١ ) حاشية للكاتب - المراد بالكتاب في جسيم هذه الآيات الوحي المأخوذ بقطع النظر عن كيفية كتابته ووضع كقوله تعالى ( ذلك الكتاب لا ريب فيه ) وقوله ( كتاب أنزل إليك ) وقرآن حينئذ لم يكن تاماً ولا مجموعاً . والمعنى المراد ما كان يوحى في ذلك الوقت فيكتب

جاء به موسى نورا وهدى للناس فجعلونه قرطاس ( أي صحفا متفرقة ) تبدونها،  
 ويخفون كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم ) وقال أيضا ( ٧٩:٣ ) فويل  
 للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا  
 فويل لهم مما كتبت أيديهم ) . وهذا كله يدل على أن كتبهم المقدسة ما كانت  
 تامة ولا محصورة بين دفتين بحيث لا تقبل الزيادة ولا القصر وإنما كانت ممتدة  
 في رقاع مشورة وأن بعض صفحاتهم كان حقا والبعض الآخر كان باطلا . أما ما ورد  
 في القرآن من نحو قوله تعالى ( ٢٣:٥ ) وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم  
 الله ) فعناه أن عندهم أجزاء من التوراة فيها حكم الله في المسألة التي نحاكموا  
 فيها إلى النبي صلى الله عليه وسلم فنحاكموا بلفظ القرآن ويراد به أجزاء منه  
 كذلك يطلق لفظ التوراة أو الأنجيل ويراد به بعضها أو أجزاء منها . وهذه  
 مسألة شائعة في القرآن الشريف وفي اللفظة . ومن ذلك قوله تعالى ( ١٨٥:٢ ) شهر  
 رمضان الذي أنزل فيه القرآن ( أي بعضه أو جزء منه

قدما لك هذه المقدمة لتعلم أن العرب ما كانت تعرف الكتاب ولا الورق  
 بمصنوعا عندنا . وأوضحنا لك فيها درجة معرفتهم القراءة والكتابة . وذكرنا لك  
 ما كانوا عليه يكتبون

بمث محمد صلى الله عليه وسلم فيهم وحالتهم كما علمت وأوحى إليه هذا القرآن  
 ليبلغهم إياه فانظر ماذا فعله هذا الرسول الأمين ، حتى نشر بينهم الكتاب المبين ،  
 علم قوة ذكركم واعتمادهم عليها في نقل أخبارهم وأشعارهم حتى أن كثيرا  
 منهم كان يسمع الآيات من الشعر أو القصيدة الطويلة ثملى عليه فيحفظها من أول  
 مرة فداوم صلى الله عليه وسلم على حفظهم على تلاوة القرآن وبالغ في حثهم على  
 حفظه وضبطه . وفرض عليهم قراءته في الصلوات وفي على هذه الحالة ضمنا  
 وعشرين سنة حتى كثر فيهم القراء وكانت السورة الواحدة يحفظها الألوف من  
 الناس والمرآة كله يحفظه الكثيرون منهم . لم يكتب صلى الله عليه وسلم بذلك  
 بل أمر بكتابه واختار طائفة منهم لتكتمه له على ما يسر لهم إذ ذاك من الجلود  
 والمظام والجريد والحجارة وغيرها مما كانوا يعرفونه . وأكثر من رغبتهم في

العلم ومدح القراءة والكتابة نحو قوله « يؤتى يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء » ومثل ذلك في الأحاديث كثير . ورد في القرآن الشريف أيضا قوله تعالى ( ١: ٦٨ ن والقلم وما يسطرون ) وقوله ( ٨٦ : ٣ اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم ) وضم الله تعالى أهل الكتاب بقوله ( ٢ : ٧٨ ) ومنهم أميون لا يملكون الكتاب إلا أمانى وإن هم إلا يظنون ) وأزم تعالى المؤمنين بكتابة الدين في الآية المشهورة في آخر سورة البقرة . وبذلك وجدت فيهم الرغبة في تعلم القراءة والكتابة وأخذ عدد الكاتبيين بينهم يزداد شيئا فشيئا . وكتب كل ما نزل من القرآن كثير من المسلمين في عهده عليه الصلاة والسلام . ولم يمت إلا بعد أن كانت جميع السور مرتبة الآيات مكتوبة في السطور عند الكثير منهم محفوظة في صدور الجاهل وبعد أن سمعوا منه مرات عديدة في الصلوات والخطب وغيرها وسمعا هو أيضا منهم . والخلاصة أن النبي عليه السلام تبع أقرب الطرق لتعميم نشر القرآن المهجد بين جميع أفراد الأمة العربية وعمل أحسن ما يمكن عمله بالنسبة لمعلوماتهم وحالتهم .

سمت نفوسهم بعد ذلك للعلل بما به فيهم واستهدت لرقى . فلما كثرت اختلاطهم بمن جاؤهم من الامم أخذوا يتقبون ويقتشون في أحوالهم ببيون مبصرة وعقول مفكرة كي يهتروا على جديد ينسونه أو إصلاح الى بلادهم بسوقونه فبهروا بمالم يصروا به من قبل . ووجدوا أن تلك الامم طريقة اخرى في تدوين معلوماهم لم تكن تخطر على بالهم . وهي أن يكتبوها على صفحات صحف من نوع واحد . يضمنون بعضها الى بعض مرتبة على حسب ترتيب عباراتها وربما رأوا أنواعا اخرى من القرطاس أحسن من التي كانوا يعرفونها كأوراق البردي بمصر مثلا

دعاهم داعي الفزع عند قتل سبعين من القراء يوم الهامة الى المبادرة والاسراع في جمع القرآن على طريقة تلك الامم خوفا عليه من الصباغ من تلك الرقاع المختلفة الأنواع فمقدروا في الحال اجتمعا واستقر رأيهم اجماعا على العمل على تلك الطريقة وهكذا جمع القرآن ووجد بن العرب أول كتاب بالمعنى الذي فهمه نحن الآن وتحقق وعد الرحمن ( ١٥ : ٩ ) انا نحن نزلنا الذكر وانزلناه

لحافظون) اختلف المسلمون في ترتيب سور القرآن وطرق قراءته . وتم ذلك  
 اختلاف مصاحفهم لأن الرسول لم يلزمهم بالتابع ترتيب مخصوص في السور .  
 ولم يجهمهم على قراءة واحدة . سور القرآن كل منها ككتاب قائم بذاته كما قال  
 تعالى ( ٩٨ : ٢ رسول من الله يتلو صحفا مطهرة فيها كتب قيمة ) فليس ثم فائدة  
 كبيرة في التزام ترتيب مخصوص ولفظ ( سورة ) مأخوذ من سور المدينة سميت  
 به القطعة المحصورة من القرآن لأنها طائفة مستقلة بذاتها . فكانت صلى الله عليه  
 وسلم ترك بين المسلمين ١١٤ كتابا كل منها محفوظ مكتوب مرتبة آياته . وجهها  
 بالطريقة الحاضرة لم يكن معروفا في عهده وإنما حدث بعده بتلليل وإن كانت في  
 زمنه مجموعة عند بعضهم في الصحف المتنوعة التي ذكرناها

أما اختلاف القراءات فهو نوعان : اختلاف بسبب اللهجات كالأمثلة وعندها  
 واختلاف آخر في الكلمات كتغيير شكلها أو اعرابها أو بعض حروفها أو نحو ذلك .  
 ولكل من النوعين فوائد ففوائد الاختلاف بسبب اللهجات هي ( ١ ) تسهيل  
 نطقه وفهمه وحفظه لقبائل العرب المختلفة ( ٢ ) إظهار أنهم يمجزون جميعا عن الأتيان  
 بمثل سورة منه كما نهداهم بذلك ولو بلغاتهم المختلفة وأن عجزهم عن المعارضة ليس  
 ناشئا عن نزوله بلهجة واحدة لا يعرفها كثير منهم . وفوائد اختلاف الكلمات هي  
 ( ١ ) تسهيل حفظه على كل أحد . وبيان ذلك أن من أراد حفظ القرآن كثيرا ما يسبق  
 لسانه بنطق مخصوص . فإذا علم أن هذا خطأ جاهد نفسه لتقدم لسانه ولكن إذا  
 علم أن قراءته جائزة لم يحتاج إلى هذا الماء مثلا إذا أراد أن يحفظ قوله تعالى  
 ( ١٧ : ٨٩ ) كلاب لا تكرمون . اليتيم ولا يتحاضون على طعام المسكين ) قد يسبق  
 لسانه ويقول ( كلاب لا يكرمون اليتيم ولا يتحاضون على طعام المسكين ) فيجهد  
 نفسه في المدول عن ذلك ولكنه إذا علم أن هذه قراءة جائزة لا يحتاج إلى التمسك .  
 وهذا الأمر يدركه جيدا من عانى حفظ القرآن الشريف . ومن أُلزم بأصاغة  
 غرض واحد لا غير ليس كمن أتيح له إصاغة أي غرض من بين بضعة أغراض .  
 ولاتنس ما لتسهيل حفظ القرآن على الأمة من الفوائد فإنه أعظم طريقي القرآن  
 في نقله وروايته وخصوصاً في الأزمنة القديمة وبين الأمم الباذجة ( ٢ ) تكبير

المعاني . فتعدد القراءات تكثر المعلومات وتزاد الفوائد . وقد يكون بعض المعاني مبيها لبعض الآخر ( ٣ ) مخفف بعض الأحكام فمثلا قوله تعالى في آية الوضوء ( ٦:٥ ) واسمعو برؤوسكم وأرجلكم ) بالكسر يفهمن أن الفصل المفهرم من قراءة الفتح غير واجب على التمييز وأن المسح يكفي

فلهذه الاسباب وبقيرها كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقرئ المسلمين القرآن بأوجه مختلفة ولذلك قال كاتبا رواه عنه ( أنزل القرآن على سبعة أحرف ) الحديث ولفظ السبعة تستعمله العرب أحيانا للبيان في الكثرة فيحتمل أن يكون هذا هو المراد هنا وأن المراد سبع لهجات العرب الشهيرة وهو لا ينفي أن هناك قراءات أخرى غير اللهجات إذ لفظ الحديث لا يفيد القصر

وقع الخلاف بين المسلمين في هذه القراءات الى أن اشتد في زمن عثمان رضي الله عنه إذ كان بعضهم اذا تلقى قراءة وسمع من غيره ما يخالفها نازعه في ذلك واتهمه بالتحريف فخشي أن يحصل بينهم من الاختلاف في القرآن ما حصل بين أهل الكتاب . ورأى أن يجمع المسلمين على مصحف واحد ينسخون عنه ويرجعون اليه في ضبط مصاحفهم حتى لا يكون فيها اختلاف ولا تكثر فيها هذه القراءات وأخبر جمهورا عظيما من أصحاب رسول الله بذلك فوافقوه على رأيه فأمر بكتابة المصحف على طريقة قرش في الرسم وكان الكتاب فريقا من الصحابة أيضا . فكتب عدة مصاحف بهذه الطريقة بعد التحري والتدقيق ومراجعة ما كتب قبل ذلك وبعد السماع من الحفاظ وإن كان اسكتيون هم أيضا من الحفظة ثم أرسلت هذه المصاحف الى الآفاق التي انتشر فيها الاسلام وفيها الجماهير من الصحابة ومن أخذ القرآن عنهم حفظا وكتابة . فوافقوا جميعا على اسمها والتعويل عليها وأعدوا غيرها مما عندهم . وكان ذلك بعد وفاة النبي بخمس عشرة سنة ( أي سنة ٢٥ هجرية )

هذا ومن علم طابع العرب وغناها وشدة إيمانهم وتمسكهم بدينهم . وعرف ما كان عليه الخلفاء الراشدون من الاخلاق وأنهم ما كانوا يستبدوا بالامر في شيء حتى لو أرادوه لما قدروا عليه — وعرف حال عثمان وصهب قلبه ، من عرف ذلك

كله أيقن أنهم لو كانوا وجدوا في مصاحف عُمان عيباً لرفضوها ولا يثبت حروب وأريقت دماء وكان دم عُمان في أولها ولا رتد كثير من الناس عن الإسلام لهذا السبب ولعاب المسلمين بتعريف القرآن من خالطهم أو دخل فيهم من أهل الكتاب وغيرهم ولما اتفقوا جميعاً على قبول هذه المصاحف ولو وجدت مصاحف مختلفة بينهم إلى اليوم ، فلم حصول شيء من ذلك يدل على أن هذه المصاحف هي عين ما تلقوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وخصوصاً لأن الذين تلقوها بالقبول ما كانوا جاهلين حرفاً واحداً من القرآن بل كانوا حافظين له حفظاً جيداً في الصدور من قبل وجود هذه المصاحف وكثير منهم كانوا ممن تلقوه كله أو بعضه مباشرة عن النبي صلى الله عليه وسلم

هذه المصاحف العمانية لم تكن منقوطة ولا مشكولة ورسمها في كثير من المواضع يخالف ما اصطاح عليه الناس فيما بعد من قواعد رسم الكلمات العربية . ولكن جرى المسلمون على تقليد هذا الرسم في جميع بقاع الأرض على مخالفة بعضها وضهرة من القواعد بعد محافظته منهم على عمل الصحابة رضوان الله عليهم . وتحاشياً لعمل أي تصحيح أو تحرير في الكتاب ولم يخرجوا عنه إلا في الأمانة الأخيرة في كلمات قليلة كتبوها على مقتضى طريقتهم . على أن أئمة مصاحفهم لا يزال إلى اليوم كالكتابة الأولى لكنها في الغالب منقوطة مشكولة

أما القراءات فاستمرت مختلفة بين المسلمين إلى زماننا هذا فهم وإن كانوا أجمعوا على المصاحف العمانية إلا أن القراءات التي كانوا يقرؤون بها من قبل هي وكانت غير مخالفة للرسم العماني مخالفة بمتد بها استمروا على القراءة بها فيما بعد . أما التي تخالفه فأخذت تتلاشى من بينهم شيئاً فشيئاً . وعليه فوجود المصاحف العمانية أفاد المسلمين ثلاث فرائد ( الأولى ) إجماعهم على مصحف واحد في الكتابة ( الثانية ) تقليل الاختلاف بينهم في القراءة ( الثالثة ) اتفاقهم على ترتيب مخصوص للمور وامل هذا الترتيب كان يستعنه الرسول وإن لم يوجهه كما سبق نوار من هذه القراءات المختلفة سبع روى كلامها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الجيم التفسير من أصحابه وأخذ عنهم في البقاع المختلفة الجماهير من التابعين

فأخذ عنهم من بدم وهكذا الى اليوم . وهذه القراءات المتواترة بمختلفها رسم المصاحف ولا يخالفه كما قلنا مخالفة يتد بها أو صريحة اذا جردت من النقط والشكل كما كانت

اشتهر بين التابعين ومن تبعهم أناس باتقان هذه القراءات وتعليقها لتبرهن قسبت اليهم وصموا أمتهما وان كانت متواترة بين المسلمين في جميع البلاد وهو لاهم عبد الله بن كثير بمكة وعبد الله بن عامر بالشام وعاصم بالكوفة وكذلك حمزة والكسائي ونافع بالمدينة وأبو عمرو بن العلاء بالبصرة وفيهم الثلاثة الاول تابعون بقي المصحف غير منقوط ولا مشكول الى أن كثرت الأعمام واختلفت بالعرب ففشا فيهم الاحن حتى اضطروا الى ضبطه فكان أول من وضع عليه الضبط أبو الاسود الدرلي في أوائل حكم بني أمية وكان ضبطه أن يضع نقطة فوق الحرف ان كان مفتوحا ونحته ان كان مكسورا وبجانبه ان كان مضموما واستمرت الحال على ذلك الى زمن الخليل بن أحمد النحوي المشهور فوضع للمصحف شكلا آخر كان أصابا لشكل الخالي الذي جرى عليه المتأخرون . وكانت وفاة الخليل هذا سنة ١٧٠ الهجرية أخذت طرق كتابة المصاحف تتحسن شيئا فشيئا الى أن اخترعت المطابع فطبع أول مصحف في مدينة هيمبورغ بألمانيا سنة ١٦٩٤ للميلاد أي في أوائل القرن الثاني عشر الهجري وبعد ذلك انتشرت المصاحف المطبوعة في العالم وحلت محل المنسوخة باليد وقد أخذوا الآن يرسمونها بواسطة المصورات الشمسية ( الآلات التصويرية ) وهكذا حفظ الله تعالى كتابه حتى وصل الينا بدون تحريف ولا تبديل . وكان المصحف في جميع هذه الأقطار المختلفة التي وصفنا هالك موهنا عليه بألاف الألوف من الحفظة في جميع البقاع الاسلامية ولا تزال الحال كذلك الى عصرنا هذا مع ضعف المسلمين وتأخرهم . ومن عجب عناية الله بهنا الكتاب الحميد أن قبيض لنا اليوم في مصر من يحننا من غير أهل ديننا ومن غير جنسنا على تعميم الكتابيب في جميع الاقاليم من بعد أن قلنا أن زمن الحفظة اتقضى أو كاد يتقضى من بيننا فأجيب دعاه الداعي الى ذلك وانتشرت الكتابيب في البلاد وكثرت الحفاظ مرة أخرى ونحمدد عندنا الرف من الاطفال يحفظونه

كاه في صدورهم فضلا عن الرجال والشيوخ  
نظرنا في هذا الكتاب المتواتر عن صاحبه نظرة فأيقنا بسببه بدء نظرنا الى  
أي شيء سواه من صدقه عليه السلام في دعواه وأنه مبلغ عن الله (راجع مقالا  
الدين في نظر العقل الصحيح) . ثم وجدنا فيه ان الله يقول (انا نحن نزلنا الذكرا  
وانا له لحافظون) فلمنا أن كل رواية يفهم منها أن القرآن ضاع منه شيء لا بد  
أن تكون موضوعة مدسوسة وان لم يتضح هذا الامر من مندها لانها تنافي ذلك  
القول المتواتر عن النبي الصادق . على أن جمع هذه الروايات منقولة عن الآحاد  
وقد اتضح كذب كثير من رواياتها وهي أيضا معارضة بأمثالها كالذي روي عن  
ابن عباس رضي الله عنه في صحيح البخاري أنه قال « ما ترك رسول الله صلى الله  
عليه وسلم إلا ما بين الدفتين » وناهيك بابن عباس ثقة في هذا الموضوع . وقد  
أجمع المحققون من المسلمين أن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر فما زعم الآحاد أنه كان  
قرآنا وضاع أو نسخ لا يقبل منهم (راجع مقالاتنا في النسخ والنسوخ) فقد وجد  
بين الرواة من هو ضعيف الفهم أو سخي الرأي أو كذوب يريد تشكيك  
المسلمين في دينهم أو يريد أن يؤيد دعوى أو مذهبا له بأمثال هذه الروايات  
ولكن العقلاء لا يقبلونها لسلا برؤيتهم ذلك الى رفض المتواتر فيكونوا ممن يرجح  
الدلالة الظنية على الدلالة المقطوع بها ومن كان كذلك كان من الاخسرين أعمالا  
الذين ضل سبيلهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا

بقي علي نقطة واحدة في هذا الموضوع لا بد لي من الكلام عليها قبل الانتهاء  
منه وهي دعوى بعض الجهلة النافقين أن في القرآن لنا ويندكرون من ذلك قوله  
تعالى ( ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والصارى الآية ) وقوله ( لكن  
الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك  
والمقيمين الصلاة والموتون الزكاة ) لان مقتضى الظاهر نصب الصابئين ورفع  
المقيمين الصلاة طبقا لقواعد النحر المروفة . وما مثلهم في هذه الدعوى الا كمثل  
تلميذ في مكتب سمع من استاذه بعض نظريات يفسر بها ظواهر وجودية طبيعية  
فطن أنه عرف كل شيء وأن استاذه لا تخفي عليه خافية وبصد ذلك وأي في

الوجود شيئاً يخالف ما وضعه له الملم من القواعد فصاح قنلا : الطبيعة أخطأت ، النظام اختل ، الكون فسد لأنه خالف قواعد استاذي : وما درى أن عقله في الحقيقة هو الذي اختل وفسد فكذلك شأن هؤلاء القوم . القرآن ينبوع الفصاحة والبلاغة وحجة اللغة الباهضة وهو أساس ما وضع من القواعد النحوية بمده فلا يليق أن نأزمه بالجري عليها وأن نجعلها أصلاً له ونحكم بخطئه إذا هو خالفها بل الواجب إذا لم ينطبق شيء منه على بعضها ان نعلم أنها معيبة أو أنها غير وافية بالفرض في بعض المسائل لعدم احكام وضعها هذا إذا لم يمكننا التطبيق . وما من لغة الا وفي أشهر كتبها القديمة وأبلغها ما يخالف ، ما وضع من القواعد فيما بعد حتى يضطر الواضعون الى استثنائه أو تطبيقه عليها بوجه ما وكذلك فعل علماء اللغة العربية في أمثال هذه الآيات حتى أجروها على قواعدهم كما هو مبين في التفسير ولا حاجة بنا لنقل ذلك هنا لعدم أهميته .

فان قيل نحن لا نقول ان هذا الخطأ كان في أصل القرآن وانما هو من نسخ المصاحف في زمن عثمان قلنا ان هؤلاء النساخ كانوا من الفصحاء الذين فكيف يقومون في هذا الخطأ ويتفقون عليه في جميع المصاحف التي كتبوها وأرسلوها الى الأقطار لاسلامية بحيث لا يوجد مصحف واحد خالياً من القلظ في هذه الآيات بمينها ؟ وكيف تنفق الحفظة في جميع الأزمنة على قراءة هذه الألفاظ المتنازع فيها كما كتبت في المصاحف مع العلم بأن القراء اعلموا يقولون قراءتهم عن قبلهم بقطع النظر عن مرسوم الخط ومما وضع من القواعد النحوية وقد توارثوا هذه القراءات بالتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم قبل وجود مصاحف عثمان كما بينا ذلك فيما سبق ؟ ومن علم رعاية المسلمين بالتجويد وضبط القراءات واحكام نطاق اللهجات المختلفة وأمره لا يأخذون ذلك من الكتب بل بسماع من أتقنها ممن تقدمهم ، علم فساد أمثال تلك الانقادات الباردة وسقوطها

وصفوة المقال أن القرآن وصل ايضاً بدون تحريف حرف واحد منه أو يُبدله فهو مكتوب اليوم كما كتبه الصحابة أنفسهم مقروء كما قرأه النبي صلى الله عليه وسلم . ولا نعرف كتاباً آخر في الدنيا بلغت العناية به من أهله مبلغها

بالقرآن فإن الكتب الأخرى التي نعرفها لا يخلو كتاب منها من الوصيات الآتية كلها أو بعضها (١) أنها لم تكتب في زمن الآتي بها أولم يعرف باليقين من هو (٢) لم تحفظ في الصدور لا من العامة ولا من الخاصة (٣) لم تكن نسخها كثيرة. وفي أغلب الأزمنة القديمة لم تكن في أيدي العامة (٤) رواها الآحاد واختلفت روايتهم (٥) فقدت وانقطع سندها إما بسبب الارتداد العام من أصحابها أو بسبب الاضطهادات الشديدة وقصد الأعداء إبادتها واحراقها (٦) وجد أمثاله معارضاً لها وكثير منها لا يرجع عليها بزيادة في قوة اسناده (٧) وجود بعض قهرات فيها تدل على بطلان النسبة إلى من نسب إليه الكتاب (٨) مملوءة بمخاطب الناسخ (٩) مملوءة بالتناقض والزيادة والنقصان والتعديل (١٠) وجود اختلافات بين نسخها قديماً وجديماً (١١) اختلاف الطوائف في قبول بعضها أو رفضه بل اختلاف الطائفة الواحدة في قبول بعض الكتب أو ترجمتها في بعض الأزمنة ورفضها في الأخرى (١٢) وجود ما يقطع بعدم صحته فيها والغلطات التاريخية والبلبية وغيرها واشتهرها على ما ينافي الآداب وينهد الأخلاق (١٣) وجود كثير من الفقر فيها ومالا فائدة فيه وما يناقض البراهين العقبية القطعية (١٤) وجودها منذ أزمنة بعيدة وخلقها إذا ذلك من العلم والتعقيل والتسميع (١٥) مناداته مخالفيهم في العصر الأولي بأنهم يحرقون كتبهم ويبدلون بها ويغيرونها كما جازى بذلك سكسوس الفيلسوف الشهير فوزه خمسة عشر وجهاً مما تنقده تلك الكتب وجميعها يتبرزه عنها القرآن الشريف . وقد ذكرت عدة من شواهد على الإيجاز في رسالي التي نشرت سابقاً في المنار . ومن أراد الإيضاح فليله بالكتب الموثقة في هذا الشأن اسلامية كانت أو غيرها عربية أو أفريقية . والسلام على من اتبع الهدى (المنار) ذكرنا هذه المقالة بكتاب تاريخ القرآن والمصاحف الذي يؤلفه صاحبنا موسى افندي جاراته الروسي وأنا . وعدنا عند ذكره في آخر جزء من السنة الثامنة بالعودة إلى تقريره وكما نسبنا الكتاب والوعد وقد أوضح مسألة جمع القرآن وأطال في بيان حفظه وعدم ضياع شيء منه ومستقل منه ذلك في الجزء الآتي

## ﴿ أصول الاسلام ﴾

( كلمة انصاف واعتراف )

يرى الناقد البصير أن ما كتبه في هذه المسألة ينحصر في بحثين - بحث في السنة القولية وبحث في السنة العملية ثم يرى أن الرادين علي لم يأتوا بشيء في البحث الأول بشي عبيلا أو يروي غبيلا . وأن أسانيدنا الكبير ومصالح الاسلام العظيم السيد محمد رشيد يراقتني في هذا البحث بل هو مرشدي الأول . وأما البحث الثاني (السنة العملية) فالشطط الوحيد الذي ارتكبه فيه على ما أرى هو إنكارى وجوب ما فهم الصحابة من النبي صلى الله عليه وسلم بأنه دين واجب ولم يكن مذكورا في القرآن ولكن أجمع عليه المسلمون سلفهم وخلفهم عملا واعتقادا بدون أدنى اختلاف بينهم . وأهم ذلك في الحقيقة مسألة ركعات الصلاة وأرى أن ما كتبه صاحب المار الفاضل في هذه المسألة كاف في الرد على فأنا أعترف بخطأى هذا على رؤوس الأشهاد واستغفر الله تعالى مما قلته أو كتبت في ذلك وأسأله العافية عن الوقوع في مثل هذا الخطأ مرة أخرى . وأصرح بأن اعتقادي الذي ظهر لي من هذا البحث بعد طول التفكير والتدبر هو : أن الاسلام هو القرآن وما أجمع عليه السلف والخلف من المسلمين عملا واعتقادا ، أنه دين واجب وبعبارة أخرى أن أصلي الاسلام الذين عليهما بني هذا الكتاب والسنة النبوية بمناها عند السلف أي طريقته صلى الله عليه وسلم التي جرى عليها العمل في الدين : ولا يدخل في ذلك عندي السنن القولية غير المجمع على اتباعها ولا ما كان ذا ثلاثة شديدة بالأحوال الدنيوية كقبض الحدود ومقادير زكاة المال وانفطار الأصناف التي تؤخذ منها وغير ذلك مما لم يذكر في الكتاب العزيز . فأبج بعض التصرف في أمثال هذه المسائل إذا وجد عندنا مقتضى وبهذا التقرير نزول جميع الاشكالات التي أوردتها في مقالتي السابقتين . نسأل الله تعالى الهداية في القول والعمل ، والصيان من الشطط والزلل ،

الهدكتور محمد توفيق صدقي  
الطبيب باستناليات ضجرت طره

(العدد) محمد الله أن ظهر صدق قولنا في الرجل وأنه معتقد ويدعن لا يظهره انه ملحق